بسم الله الرحمن الرحيم

# الإتجاه الفقهي في التفسير نشأته وتطوره

**الدكتور عبد الرزاق هرماس تارودانت**

" التفسير الفقهي " أو " تفسير آيات الاحكام " هو الاتجاه الذي يهتم بتتبع آيات الاحكام في القرآن، فيستنبط مختلف مسائلها ويبين معانيها.

عرفه محمد لطفي الصباغ بأنه: " التفسير الذي يولي موضوع الاحكام الفقهية عناية خاصة " [1]، وعرفه د. نور الدين عتر بأنه : " الذي يُعنى فيه بدراسة آيات الاحكام، وبيان كيفية استنباط الاحكام منها. وهذا التفسير بهذه الصفة يتميز بمزيد من دقة الفهم، وعمق الاستنباط، ويسمح بإعمال الذهن في المناقشة والموازنة بين الآراء أكثر من غيرهم مما يجعل له أهمية أكبر، ويلزم بالاعتناء به أكثر " [2].

ففقهاء المفسرين الذين صنفوا في هذا الاتجاه درجوا في كتبهم على تتبع آيات الأحكام في القرآن مبينين دلالاتها، مستفسرين عما تضمنته من فقه، دعاماتهم في ذلك الرجوع الى المنقول مع اعمال النظر والاجتهاد ومراعاة ما تقتضيه قواعد التفسير وآدابه.

قال أبو عبد الله القرطبي (ت 671 هـ في مقدمة " الجامع لأحكام القرآن " : ... واعتضدت من ذلك تبيين آي الاحكام بمسائل تسفر عن معناها، وترشد الطالب إلي مقتضاها، فضمنت كل آية تتضمن حكما أو حكمين فما زاد مسائل نبين فيها ما تحتوي عليه من أسباب النزول وتفسير الغريب والحكم.. " [3]

---

1. الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير ص 226، طبعة المكتب الاسلامي بيروت.
2. د. نور الدين عتر، علوم القرآن الكريم ص 103، الطبعة الاولى 1414هـ دار الخير دمشق.
3. القرطبي، الجامع لاحكام القرآن ج 1 ص 3 مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية بتصحيح أحمد عبد العليم البردوني.

## المبحث الأول
## نشأة الاتجاه الفقهي في التفسير

ترجع نشأة الاتجاه الفقهي في التفسير إلى الفترة التي نزل فيها القرآن وطولب الناس باخضاع تصوراتهم وسولكياتهم لاحكامه، حيث حث النبي صلى الله عليه وسلم والصدر الأول من بعده على التفقه في كتاب الله، واستنباط تشريعاته... [4] وبعد الصدر الاول توالت اجيال المفسرين من مختلف الطبقات، واتجهت جهودهم لتتبع الاحكام حتى غدا البحث في فقه القرآن جزءا من علم التفسير [5].

*على أنه تنبغي الاشارة إلى أن التأليف في الاحكام تدرج في مسلكين:*

***الأول*** : وعليه اكثر المصنفات، اهتم فيه المفسرون بادراج مختلف ما استنبطوه من فقه الآيات في مسائل مرتبة، فيذكر المفسر الآية ويعقب عليها بذكر عدد مسائلها، وقد يعرض ضمن ذلك لأسباب النزول والنسخ وغيرها... ثم يورد استنباطات العلماء قبله وما استنبطه هو نفسه، مرتبا تلك المسائل في تسلسل...

***المسلك الثاني:*** نهجه بعض فقهاء المفسيرين كأبي بكر الرازي الجصاص تـ 370هـ ويعتمد التبويب الفقهي الذي يقتضي التبويب للآية بما يبين موضوعها، وقد تأتي ترجمة الباب بصيغة خبرية عامة تدل على محتواه، وقد تكون الترجمة بصيغة السؤال أو مقررة لحكم، وقد تكون ترجمة الباب تقريرا لما ترجح في مذهب المصنف بشأن فرع من فروع الفقه.

### المطلب الأول :الاهتمام بالتصنيف في أحكام القرآن

كان العلم بفقه آيات الاحكام غاية ما حرص عليه الائمة والعلماء قديما وحديثا، ذلك ان هذا العلم يوفق صاحبه للعمل الصالح ويؤهله ليصبح أسوة الناس وقدوتمهم في دينهم ودنياهم..

وكما اهتم المتقدمون بتتبع فقه أحكام كتاب الله، اهتموا بالتصنيف في هذا العلم فأخرجوا للناس مؤلفات موسوعية جمعوا فيها مسائل الخلاف وضمنوها مختلف ما استنبطوه من فروع..

---

4. انظر ذلك بتوسع في : التفسير والمفسرون للذهبي جـ 2 ص 432وما بعدها، الطبعة الثانية 1396 هـ، دار الكتب الحديثة القاهرة.
5. ذلك ان تفسير آيات الاحكام لم يقتصر على كتب التفسير الفقهي فسحب، بل اهتم بها عامة المفسرين أيا كانت اتجاهاتهم..

وبحكم ان العلم بفقه كتاب الله هو ذروة ما يبلغه العالم، فقد كان ديدن الائمة ومألوف العلماء الحرص على الاستزادة من هذا الفقه..

*قال الشافعي (تـ 204هـ) رحمه الله:*

"... فان من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصا واستدلالا ووفقه الله للقول والعمل لما علم منه - فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الريب، ونورت في قلبه الحكمة، واستوجب في الدين موضع الامامة، فنسأل الله المبتدئ لنا بنعمه قبل استحقاقها، المديم بها علينا مع تقصيرنا في الاتيان على ما أوجب من شكره لها، الجا علنا في خير امة اخرجت للناس - : ان يرزقنا فهما في كتابه ثم سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، قولا وعملا يؤدي به عنا حقه، ويوجب لنا نافلة مزيده، فليست تنزل باحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبل الهدى فيها..." [6].

وبعد عصر أئمة الاجتهاد - خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين - اتجه طائفة من فقهاء ومجتهدي مختلف المذاهب الفقهية إلى تصنيف تفاسير مجردة للاحكام، واتسعت دائرة هذا التأليف مع الزمن حتى وجد من فقهاء المفسرين من صنف في أحكام القرآن موسوعات لاتكاد تختلف عن أمهات مصادر الفقه الاسلامي.

## المطلب الثاني :الخلاف في تفسير آيات الاحكام

كان للمذاهب الفقهية أثر في توجيه وتطور الاتجاه الفقهي في تفسير القرآن، ظهر ذلك الأثر من خلال:

1 - ما حوته مختلف كتب آيات الاحكام من فروع المذهب الذي التزم به مصنفوها.

2 - العديد من مباحث الخلاف العالي - الفقه المقارن - التي تضمنتها هذه التفاسير.

3 - كما ظهر ذلك الأثر من خلال الكثير من المناظرات الفقهية الطريفة التي اجتهد مفسرو المذاهب في تدعيم آراء واختيارات مذاهبهم فيها، وإن كانت هذه المناظرات الفقهية لا تخلو من تعصب احيانا.

ويرجع أثر الخلاف الفقهي في تفسير آيات الاحكام الى الفترة التي نشأت فيها المذاهب نفسها، فبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم اشتهرت عن أعلام فقهاء

---

6. أحكام القرآن للشافعي جمعه أبو بكر البيهقي جـ 1 ص 21 طبعة 1395هـ، مصورة بدار الكتب العلمية بيروت.

الصحابة رضي الله عنهم طرق مختلفة في الاجتهاد واستنباط الاحكام من الكتاب والسنة وخلف من بعد الصحابة جيل التابعين الذين حذوا حذوهم من غير ان يكون اختلاف الطبقتين مدعاة لظهور المذهبية [7]، وابتداء من القرن الثاني بدأت بوادر نشأة المذاهب وذلك راجع لأسباب حررها العلماء حين ألفوا في تاريخ الفقه والتشريع..

وحين نرجع إلى نشأة وتطور مختلف المذاهب المعروفة نجد كل واحد منها درج على منهج محدد في استنباط الاحكام من الوحي كتابا وسنة.

ولا شك ان دلالة النصوص القرآنية لا تظهر بصورة شاملة الحكم في كثير من الاحوال، كما انها لا تدل بصورة قطعية على الاحكام في بعض الاحوال.

كما ان السنة النبوية ليست على درجة واحدة في الثبوت عن الرسول صلى الله عليه وسلم، بل هي تتفاوت بين الصحة والضعف، فكان لزاما لمن أراد استنباط الاحكام الشرعية ان يأخذ بالكتاب والسنة معا، فكلاهما مبين للآخر بالخصوص والعموم أو الاطلاق والتقييد وغير ذلك [8].

وظاهرة اختلاف الائمة الاعلام في استنباطاتهم الفقهية عرض لها الاصوليون في مصنفاتهم ضمن مباحث أسباب اختلاف الفقهاء [9].

فلما انتشرت المذاهب الفقهية - التي لا زالت باقية - عمد تلاميذ كل امام من الائمة المجتهدين الى استخراج وجمع منهج امامهم في الاجتهاد وطبقوه على النوازل التي عرضت لهم [10].

وعندما ابتدأ التصنيف في التفسير الفقهي - خاصة - كان فقهاء المذاهب يستخرجون مسائل آيات الأحكام طبقا لأصول المذهب الذي التزموا به، وقد قاد

---

7. انظر ما أورده ابن عبد البر النمري ت 463هـ، عن مذاهب الصحابة والتابعين ضمن التمهيد لما في الموطإ من المعاني والاسانيد جـ 10 ص 115 نشر وزارة الاوقاف، الرباط...

8. د. فهد الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر جـ 2 ص 416، اللطبعة الاولى 1407هـ الرياض.

9. انظر في ذلك: الشاطبي، الموافقات جـ 4 ص 119، دار الفكر بيروت، بتعليق الشيخ محمد حسنين مخلوف، ابن تيمية، رفع الملام عن الائمة الاعلام، دار الكتب العلمية بيروت 1403هـ، وانظر فيما كتبه المعاصرون أثر الاختلاف في القواعد الاصولية في اختلاف الفقهاء للدكتور مصطفى الخن، الطبعة الرابعة 1406هـ مؤسسة الرسالة بيروت تبصير النجباء بحقيقة الاجتهاد والتقليد.. د. محمد الحفناوي، الطبعة الاولى 1415 هـ دار الحديث القاهرة.

10. انظر د. عمر الجيدي، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي بالغرب الاسلامي ص 7 وما بعدها منشورات عكاظ، الرباط، د. محمد ابراهيم علي، اصطلاح المذهب عند المالكية ضمن مجلة البحوث الفقهية المعاصرة العدد 15 عام 1413 هـ ص 40 وما بعدها...

التعصب الفقهي بعض مفسري الفقهاء الى اعتبار المشهور في المذهب هو الحق فجرحوا المخالفين لذلك، وطعنوا فيهم ولو كان هذا المخالف إماما معتبرا.

لكن وجد من اعلام التفسير الفقهي من نظر الى التراث العلمي الذي خلفه العلماء قبله بعين الانصاف، واستفاد من مسائل الخلاف في استخراجه للاحكام من غير تعصب، وفي مقدمة هؤلاء المفسرين الاعلام أبو عبد الله القرطبي تـ 671 هـ مصنف الجامع لأحكام القرآن.

## المبحث الثاني
## تدرج التفسير الفقهي

تطور هذا الاتجاه مع تطور المذاهب الفقهية، ففي عصر نشأة المذاهب المعروفة كان التفسير الفقهي يعنى بالوقوف عند آيات الاحكام يستنبط مسائلها على حسب قواعد المذهب [11].

وحين صارت المذاهب تقليدا - بعد عصر الائمة - كان تفسير آيات الاحكام لا يخرج غالبا عن طور تقليد آراء علماء المذهب أو الترجيح بينها حال الاختلاف [12].

وعندما طغا التعصب، وصارت المذهبية الفقهية تعصبا أعمى لآراء مذهب معين ظهر أثر ذلك في التفاسير الفقهية التي شحنها مؤلفوها بنقد مخالفيهم من العلماء والنيل منهم [13].

وعندما تراجع التعصب في العصور المتأخرة كان فقهاء المفسرين - من المتأخرين والمعاصرين - يرون المذهبية اختيارا فقهيا يلتزم به عالم معين، ومن ثم اختفى التعصب الذي يؤدي بصاحبه الى النيل من العلماء المخالفين، بل برزت في العصر الراهن الدعوة الى اعتبار المذاهب الفقهية جميعا متساوية يجب النظر إليها والتعامل معها بما يحفظ حرمتها [14].

---

11. انظر أحكام القرآن للشافعي.
12. انظر أحكام القرآن للكيا الهراسي الشافعي.
13. اشتهر طغيان هذا التعصب عن الجاص في أحكام القرآن، كما نجد بعضه عند ابن العربي المعافري في أحكامه...
14. وهذه الخاصية امتازت بها أشهر التفاسير الفقهية المعاصرة كروائع البيان للصابوني، وآيات الاحكام للسايس...

## المطلب الأول : أشهر التفاسير الفقهية

سبقت الاشارة الى ان تطور التصنيف في احكام القرآن ارتبط بتطور المذهبية الفقهية حيث ظل الالتزام المذهبي حافزا دفع بفقهاء المفسرين الى التصنيف في هذا الموضوع:

- إما بهدف الانتصار للمذهب نفسه في مسائل الخلاف.
- وإما لغاية جمع احكام مختلف المسائل في المذهب.
- وإما لانصاف المذهب والرد على منتقديه [15].

*واشهر ما وصل الينا أو وردت الاشارة إليه من كتب التفسير الفقهي:*

1 - تفسير أبي نصر محمد بن السائب الكلبي تـ 146هـ. [16].

2 - الاحكام لبكر بن العلاء القشيري المالكي تـ 182هـ [17].

3 - أحكام القرآن للامام الشافعي تـ 204هـ، جمعه من مصنفاته الامام ابو بكر البيهقي تـ 458هـ.

4 - احكام القرآن ليحيى بن عبد الله بن بكير تـ 231هـ [18].

5 - أحكام القرآن لابي الحسن علي بن حجر السعدي تـ 242هـ [19].

6 - احكام القرآن لابي اسحاق اسماعيل الازدي البصري تـ 282هـ [20].

*وتوالى التأليف في الاحكام بعد القرن الثالث الهجري فصنف فيها من العلماء:*

7 - ابو الحسن بن موسى القمي الحنفي تـ 305هـ [21].

8 - ابو جعفر احمد الطحاوي تـ 321هـ [22].

---

15. انظر: د. الذهبي، التفسير والمفسرون جـ 2 ص 434وما بعدها...
16. الداودي، طبقات المفسرين جـ 2 ص 149 دار الكتب العلمية بيروت...
17. ابن فرحون، الديباج المذهب... جـ 1 ص 314 دار التراث القاهرة...
18. ابن فرحون، المصدر السابق جـ 2 ص 259.
19. الداودي، طبقات المفسرين جـ 1 ص 401..
20. الداودي، المصدر السابق جـ 1 ص 106...
21. الداودي، المصدر السابق جـ 1 ص 440..
22. الداودي، المصدر السابق جـ 1 ص 76..

9 ـ ابو محمد القاسم بن اصبغ تـ 340هـ [23].

10 ـ ابو بكر احمد بن علي الجصاص تـ 370هـ [24].

11 ـ ابو يعلى محمد بن الحسين الحنبلي تـ 458هـ [25].

12 ـ ابو الوليد الباجي تـ 474هـ [26].

13 ـ أبو الحسن علي بن محمد الكيا الهراسي تـ 504هـ [27].

14 ـ ابو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري تـ 543هـ [28].

15 ـ ابو عبد الله عبد المنعم بن الفرس الغرناطي تـ 597هـ [29].

16 ـ ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاريّ القرطبي تـ 671هـ [30].

17 ـ ابو العباس احمد الحلبي تـ 756هـ... [31].

*وقد قام بعض فقهاء المفسرين باختصار كتب الاحكام، واشهر هذه المختصرات:*

ً مختصر احكام القرآنً لابي محمد مكي بن ابي طالب القيسي تـ 437هـ [32]

ـً تلخيص احكام القرآنً لجمال الدين محمود بن احمد بن السراج تـ 770 هـ [33]

على ان اكثر هذه المصنفات رواجا بين العلماء قديما وحديثاً احكام القرآنً لابي بكر الجصاص الحنفي، ًواحكامً لابي يعلى الحنبلي و ًاحكام القرآنً للكيا الهراسي الشافعي و ً احكامً ابي بكر بن العربي المالكي، واكثر هذه المصنفات موسوعية كتابً الجامع لاحكام القرآنً للقرطبي.

---

23. الداودي، المصدر السابق جـ 2 ص 36..

24. الداودي، المصدر السابق جـ 1 ص 56..

25. ابن كثير، البداية والنهاية جـ 12 ص 94 ـ 95 دار الفكر بيروت 1398هـ.

26. الداودي، المصدر السابق جـ 1 ص 208، ابن فرحون، الديباج.. جـ 1 ص 385..

27. الداودي، المصدر السابق جـ 1 ص 436...

28. الداودي، المصدر السابق جـ 2 ص 167...

29. المصدر السابق جـ 1 ص 363...

30. نفسه جـ 2 ص 69...

31. لهً القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيزً انظر ترجمته في طبقات الداودي جـ1 ص 102.

ومن المتأخرين الذين ألفوا في الاحكام:

علي بن عبد الله الشنفكي (القرن التاسع الهجري) لهً أحكام الكتاب المبينً ، وأحمد بن سعيد ملاحيون... وانظر الذهبي، التفسير والمفسرون جـ 2 ص 436.

32. الداودي، طبقات المفسرين جـ 2 ص 332.

33. الداودي، المصدر السابق جـ 2 ص 331.

## المطلب الثاني : أثر المذهبية في التفسير الفقهي قديما

اذا بحثنا عن تأثير المذهب الفقهي في تفسير آيات الاحكام عند المتقدمين فاننا نصل الى انه كانت للمذهبية آثار ايجابية وأخرى سلبية...

*فمن الآثار الايجابية للمذهب الفقهي في تفاسير آيات الاحكام:*

أ - ان المذهبية وجهت التفسير الفقهي نحو الموسوعية، ظهرت هذه الخاصية من خلال مختلف المسائل التي يعرضها المفسر، فهو يتتبع اختلاف الفقهاء وآراء الائمة ومذاهب المجتهدين، ويجمع قضايا الخلاف العالي ومسائل الخلاف داخل المذهب الواحد مرجحا ومفرعا ومستنبطا، ولذلك اضحت بعض التفاسير الفقهية موسوعات في الفروع تضاهي أمهات كتب الفقه.

ب- ومن الآثار الايجابية للمذهبية في كتبً احكام القرآنً تحفيزها للمفسر على تتبع واستقصاء دقائق المسائل، فكثيرا ما نجد فقهاء المفسرين يفرعون انطلاقا من الحكم الذي تدل عليه الآية مسائل جزئية، يدفعهم الى ذلك الحرص على الاستدلال لمختلف فتاوي المذهب أو مجرد الاستنباط الفقهي [34].

ج- ومن الآثار الايجابية للمذهبية في كتب التفسير الفقهي دورها في شحذ فكر المفسر للاحتجاج على مختلف المسائل، فقد كان متقدمو المفسرين المقلدين شديدي الحرص على تدعيم فروع مذاهبهم والاحتجاج لها، غير ان هذا الحرص يؤدي غالبا الى التعسف على المخالف وقد يؤدي أحيانا إلى إنصاف مذهب هذا المخالف [35].

غير انه توجد ازاء هذه الآثار الايجابية للمذهبية في تفسير آيات الاحكام آثار أخرى سلبية اهتم مختلف الدارسين المعاصرين بابرازها [36]، وكانت وراء ظهور هذه الآثار السلبية أسباب ترجع إلى :

---

34. وقد أبدع في هذا المجال فقهاء المفسرين الذين نصبوا للقضاء بين الناس...

35. اشتهر التعسف عن أبي بكر الجصاص كما يدل عليهً أحكام القرآنً ، وقد يكون المفسر متعسفا أحيانا منصفا أحيانا أخرى وهذا حال ابن العربي فيً أحكامهً ، وقد يغلب الانصاف على المفسر كما هو حال القرطبي

36. انظر : التفسير والمفسرون للذهبي جـ 2 ص 434، علوم القرآن الكريم لنور الدين عتر ص 104، المابدئ العامة لتفسير القرآن للصغير ص 122، المؤسسة الجامعية بيروت 1403هـ.

1 ـ طغيان روح التعصب الاعمى على المفسر.

2 ـ الخروج بالنقاش الفقهي من دائرة الخلاف الاجتهادي الي دائرة النقد والطعن المجافيين للمنهج العلمي.

3 ـ اعتبار فتاوي المذهب وآراء علمائه هو الحق وكل ما عداه باطل ولو أجمع عليه الجمهور.

ويمكن *اختصار الآثار السلبية للمذهبية عند فقهاء المفسرين في مظاهر ثلاثة:*

أ ـ التحامل على المذاهب المخالفة: ظهر هذا الأثر مع طغيان التعصب الاعمى ابتداء من القرن الرابع الهجري، فكان متعصبة مفسري الفقهاء يرون ان كل ما خالف مذهبهم باطل، وان نصرة المذهب وتأييده يقتضيان الانتصار لآرائه في مختلف المسائل، ولو أدى بهم ذلك الى الشطط أو النيل من أعلام الأئمة [37].

ب ـ ومن الآثار السلبية كذلك التكلف في تفسير الآيات التي تخالف المشهور في المذهب فحين تكون دلالة الآية واضحة أو يوجد لها تفسير في صحيح الحديث النبوي، ويكون المشهور في فروع مذهب المتعصب خلاف ذلك، يلجأ إلى التكلف في التأويل أو إلى ادعاء نسخ الآية أو تخصيصها، وقد يصل الأمر إلى رد الحديث الصحيح أو التشكيك فيه انه كان شاهدا لمذهب المخالف [38].

جـ ـ ومن هذه الآثار السلبية توسع المفسر الفقهي في مسائل بعيدة عن الآية نقلت بشأنها آراء عن مجتهدي المذهب الذي تقلده ـ فقهيا أو عقديا ـ فيلجأ إلى تفريع المسائل والتوسع في الاحكام لغاية ادراج آراء مذهبه ضمن أحكام الآية وقد تكون تلك الآراء غريبة الفقه عن والاحكام [39].

---

37. انظر تحامل الجصاص على الامام مالك في أحكام القرآن جـ 2 ص 40 دار احياء التراث العربي تفسير الآية (يسألونك عن المحيض. قل هو اذى) وتحامله على الشافعي جـ 3 ص 58 تفسير الآية (ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء)...

وانظر كلام العربي في أبي حنيفة في أحكام القرآن جـ 1 ص 446 تفسير (فلم تجدوا ماء...)...

38. انظر مثال ذلك في "أحكام" الجصاص جـ 5 ص

39. عند تفسير (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها....) ـ النساء 86 ـ توسع ابن العربي في تفريعه ليستدل بذلك على وجوب الثواب في الهبة، الاحكام جـ 1 ص467...

## المبحث الثالث
## حاضر الاتجاه الفقهي في التفسير

ازدهر التفسير الفقهي وأبدع فيه مفسرو الفقهاء في القرون التي شهدت انتاجا علميا متميزا في مجال الفروع والخلاف العالي، وحين فترت الهمم وفشا التقليد بين العامة والعلماء توقفت عملية الابداع في تفسير آيات الاحكام، وصرف المفسرون جهودهم للاهتمام بتراث المتأخرين وانقطعت صلتهم بمصادر العلم التي خلفها الائمة الاوائل..

واستمرت مرحلة الفتور من نهاية القرن السابع الهجري حتى بداية المرحلة الراهنة حيث اتجهت جهود المعاصرين نحو محاولة إحياء الحركة العلمية التي أبدع فيها المتقدمون مصنفاتهم في شتى العلوم (40).

وكان التأليف في آيات الاحكام - عند المعاصرين - يهتم بالاستفادة من المصادر العلمية القديمة مع الاحتراز من السلبيات التي وقع فيها طائفة من القدامى بسبب إفراطهم في التقليد أو تعصبهم المذهبي.

### المطلب الأول : مؤلفات المعاصرين في أحكام القرآن

ارتبطت جل المؤلفات المعاصرة في التفسير الفقهي بالمقررات الجامعية، فمع التوسع الذي شهده التعليم العالي بمختلف الدول العربية وإنشاء مختلف الكليات والاقسام المهتمة بالعلوم الاسلامية، ظهرت الحاجة إلى مؤلفات مبسطة في علم التفسير تيسر تلقي هذا العلم على الطلبة.

وبحكم ان تدريس مادة التفسير كان موكلا بالدرجة الأولى لكليات الشريعة، فقد تم التركيز على آيات الاحكام، واقتضت مناهج التدريس توزيع المادة العلمية على سنوات الاجازة، فاتجه بعض مدرسي التفسير بهذه الكليات إلى تهذيب وتنقيح محاضراتهم بعد أن جمعوا مادتها من المصادر خلال سنين من التدريس.

وأقدم تأليف معاصر في آيات الاحكام كتاباً نيل المرام في تفسير آيات الاحكام لمحمد صديق القنوجي تـ 1307 هـ، وهو كتاب مبسط جدا لم يؤلف لغاية

40. انظر: تاريخ التشريع الاسلامي، أعد بإشراف الشيخ السايس ص 117، منشورات مكتبة صبيح، القاهرة.

أكاديمية خلاف جل الكتابات المعاصرة في الموضوع، لكنه بالرغم من ذلك كتاب تعليمي كما تدل على ذلك مقدمة مؤلفه [41].

*ومن كتب التفسير الفقهي المرتبطة بكليات الدراسات الشرعية:*

1 ـ روائع البيان في تفسير آيات الاحكام لمحمد علي الصابوني ظهرت طبعته الأولى عام 1391 هـ ، ألفه صاحبه عندما كان مدرسا لمادة التفسير بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية ـ جامعة أم القرى بمكة المكرمة، وهذا الكتاب أكثر رواجا بين طلبة الاجازة ساعده على ذلك أسلوبه المتميز.

2 ـ تفسير آيات الاحكام أشرف على طبعه وتنقيحه الشيخ محمد علي السايس ت 1396هـ، والكتاب مقرر ـ سابقا ـ في كلية الشريعة بالازهر ألفه جماعة من المؤلفين عهدوا إلى الشيخ السايس بالاشراف عليه.

3 ـ تفسير آيات الاحكام تأليف الشيخ مناع خليل القطان.

4 ـ دراسات في تفسير بعض آيات الاحكام للدكتور كمال جودة أبو المعاطي.

5 ـ قبس من التفسير الفقهي للدكتور الشافعي عبد الرحمن السيد [42].

والملاحظ ان كتب آيات الاحكام المرتبطة بالجامعة، ألف بعضها على الاسلوب القديم الذي يتتبع الآيات من أول القرآن مختصرا مسائلها من أمهات المصادر، ومنها كتب عملت على الاستفادة من المناهج الحديثة في ترتيب المادة العلمية وتقديمها للدارس، فجاءت على شكل محاضرات مبوبة، وممن نهج الاسلوب القديم الشيخ السايس في آيات الاحكام الذي أشرف عليه، وممن اعتمد على طريقة المحاضرات الشيخ الصابوني في روائع البيان.

## المطلبالثاني : أهم مميزات التأليف المعاصر في الاحكام

اختص التفسير الفقهي خلال العصر الراهن بمجموعة من المميزات يرجع بعضها إلى الوسط الاكاديمي الذي نما فيه هذا الاتجاه، وبعضها الآخر يرجع

41. انظر: محمد صديق القنوجي، نيل المرام من تفسير آيات الاحكام ص 1، 2، المطبعة الرحمانية القاهرة 1347 هـ.

42. انظر دراسة وافية للاتجاه الفقهي في العصر الراهن ضمن: اتجاهات التفسير... تأليف د. فهد الرومي جـ 2 ص 436.

الحصيلة العلمية للمؤلفين المعاصرين في "الاحكام".

وترجع *أهم مميزات الاتجاه الفقهي إلى خمسة أمور رئيسية:*

***الميزة الأولى* : جمع تراث المتقدمين وتنقيحه:** يظهر ذلك للمطلع على كتب آيات الاحكام التي ألفها المعاصرون، فقد استفادت هذه الكتب من مختلف أمهات التفاسير أثرية أو لغوية أو فقهية أو بيانية...

وكان ديدن المعاصرين جمع المادة العلمية المرتبطة بالأحكام من مختلف المصادر ثم ترتيبها وفق منهج معين" ، ومن ثم فالمؤلفات المعاصرة في التفسير الفقهي اعتمدت على ما خلفه المتقدمون من فقهاء المفسرين كأحكام القرآن للجصاص وأحكام ابن العربي ..، كما استفادت هذه المؤلفات من أمهات التفاسير اللغوية والأثرية، كالمحرر الوجيز لابن عطية، والبحر المحيط لأبي حيان، وجامع البيان للطبري، ومعالم التنزيل للبغوي، واجتهد المعاصرون في اختيار المادة العلمية وتنقيحها وترتيبها وتقريبها من القارئ أو طالب العلم.

***الميزة الثانية*: الاهتمام بالفقه المقارن والنظر إلى اختلاف الأئمة والعلماء على أنه اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد:** درج فطاحل أئمة الفروع على الاهتمام بالفقه المقارن، ونظروا إلى قضايا الخلاف من خلال" مباحث أسباب اختلاف الفقهاء" [43] فقادهم نظرهم إلى الانصاف والبعد عن التعصب المذهبي الأعمى [44] وقد غاب هذا المنظور عن المتأخرين فسجنوا أنفسهم في مشهور الآراء والنوازل التي وصلتهم عن طريق متأخرة المقلدين، كما أشار إلى ذلك الشاطبي رحمه الله وغيره [45].

وقد ظهر أثر هذا التقليد والتعصب في مطلع العصر الراهن، لكن قيض الله للدراسات الشرعية من يوجهها وجهة علمية تتوخى الانصاف وتمقت التعصب المذهبي الاعمى، وإذا وجد هناك مبرر للعالم والمتعلم بأن يلتزم مذهبا معينا من مذاهب أئمة الاجتهاد، يجعل منه اختياره في الفروع، فليس هناك أدنى مبرر يستند إليه المتعصب الذي يرى الحق مع مذهبه فقط دون سواه من مذاهب أئمة الاسلام.

---

43. من فطاحل هؤلاء الائمة شهاب الدين القرافي وانظر كتاب" الذخيرة" في الفقه.
44. من مصادر الفقه التي نأت كلية عن التعصب كتاب" المغني" شرح مختصر الخرقي لابن قدامة..
45. انظر كلام الشاطبي في" الاعتصام" جـ 2 ص 348 دار المعرفة بيروت.

ويعتبر شيخ الازهر أحمد مصطفى المراغي تـ 1945م رائد المعاصرين في الدعوة إلى تدريس " الفقه المقارن " أو " الخلاف العالي "، وكان يرى أن تدريس هذه المادة لطلبة العلم الشرعي يؤهلهم لمعرفة أسباب الخلاف وفهمه.. (46).

وقد اهتم المؤلفون المعاصرون في التفسير الفقهي بالخلاف واستفادوا منه في تقرير الاحكام، ومن ثم لا نجد أي واحد منهم يلتزم مذهبا معينا، فبالاحرى ان يتعصب له، وقد اقتضى المنهج العلمي من المعاصرين ان يهتموا بجرد مختلف آراء أئمة أهل السنة، سواء تعلق الأمر بالمذاهب الأربعة الباقية أو بغيرها من المذاهب الفقهية المنقرضة، ثم يعمدون إلى الترجيح إما عن طريق اختيار ما عليه الجمهور أو ما ترجح بالدليل.

***الميزة الثالثة:*** **الاقتصار على الظاهر من آي القرآن وعدم التعرض لجزئيات المسائل والاحكام** كان المتقدمون من المصنفين في أحكام القرآن يتعقبون مختلف ما يمكن ان يستنبط من الآية فيفرعون انطلاقا من مسائلها أحكاما جزئية لنوازل لا تشير إليها الآية مباشرة، وقد يكون المفسر الفقهي دقيقا في نظره، فيستفيد من قواعد أصول الفقه لتقرير جزئيات والاستدلال على فروع لم يسبق إليها، كما قد يقوده التعصب - خلافا لذلك - إلى التحمل والتكلف للاحتجاج على افتراضات انفرد بها المذهب الذي التزم به (47).

وحين ننظر في مختلف الكتب المعاصرة في أحكام القرآن نجد مؤلفيها يتوقفون غالبا عند بحث ما يفيده ظاهر الآية، ولعل هذه الخاصية ترجع إلى أن مؤلفات المعاصرين هي في جوهرها وغايتها كتب مدرسية تعليمية في حين كانت مصنفات المتقدمين تفاسير علمية مستوعبة..

وكثيرا ما كان المعاصرون يحرصون على اختصار أهم المسائل والأحكام المتضمنة في المصادر، ثم يعرضون ما اختصروه بأسلوب مبسط يساير مدارك طالب العلم، ويناسب مستوى عامة الناس المثقفين الذين يعسر عليهم التعامل مع أمهات الكتب بما تضمنته من تفريعات واحتوت عليه من طرق استدلال.

---

46. تاريخ التشريع الاسلامي بإشراف الشيخ السايس ص 130.

47. انظر على سبيل المثال استفادة ابن العربي من علم أصول الفقه ودقة نظره عند تفسير قوله تعالى ( وآتوا حقه يوم حصاده) - الانعام 141 - في " أحكام القرآن " جـ 2 ص 759 وما بعدها حيث انتهى إلى رأي أبي حنيفة والاحتجاج له...
وانظر خلافا لذلك تعسف الجصاص وتكلفه الاحتجاج على آرائه الكلامية عند تفسير قوله تعالى ( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات...) ضمن " أحكام القرآن " جـ 5 ص 191...

تحريمه[50] وعرضت لأغراض القرآن من وراء تشريع عقوبات الحدود[51] وغير ذلك..

أما مناقشة الشبهات فهي كثيرة في كتب المعاصرين، فقد ناقش المعاصرون من المؤلفين في الاحكام ما يثار بشأن زوجاته عليه السلام[52]، وما يتردد بشأن وجوب الحجاب الشرعي على البالغات من الاناث[53] وغير ذلك..

## خـــاتـــمـــة

اهتمت هذه الدراسة بإعطاء نبذة مختصرة ومستوعبة - قدر الامكان - للاتجاه الفقهي في التفسير: تاريخه ومميزاته..، وكان الغرض من دراسة التفسير الفقهي عند المتقدمين ابراز أصالة هذا الاتجاه، فخلافا لباقي اتجاهات التفسير الاخرى، كان الاهتمام باحكام مقصد مختلف طبقات علماء الامة، يستوي في ذلك المفسرون والفقهاء وغيرهم ...، اضافة لما سلف، حرصت هذه الدراسة على اظهار أثر الخلاف العالي في مصنفات المتقدمين، فمما لا شك فيه ان الدارس المطلع على مختلف أمهات كتب أحكام القرآن، يعلم مكانة هذه الكتب بين مصادر الفقه والتشريع، بل ان بعض كتب الاحكام صارت موسوعات في الفقه المقارن، وقد تعرضت هذه الدراسة لمؤلفات المعاصرين في احكام القرآن، مبرزة مختلف ما امتازت به التفاسير الفقهية المعاصرة على مستوى المنهج المتبع وعلى مستوى المادة العلمية.

كما نبهت هذه الدراسة إلى أخص ميزة للتآليف المعاصرة وهي التحرر من المذهبية الفقهية بمفهومها الضيق الذي يحمل صاحبه على التعصب، فقد كان التعصب الفقهي الاعمى هو أكثر ما انتقد على مشاهير فقهاء المفسرين، لما يحملهم عليه هذا التعصب.. ، ولآثار ذلك في تفسير آيات الاحكام، وقد اقتضى منهج المعاصرين الابتعاد عن التعصب المذهبي، والنظر الى الخلاف العالي على انه خلاف تنوع لاخلاف تضاد، كما ان ظهور جُلّ التفاسير الفقهية المعاصرة في رحاب الجامعات - خاصة كليات الشريعة - ساهم في توجيه تفسير آيات الاحكام بعيدا عن المذهبية فبأحرى التعصب. والله تعالى أعلم وأحكم.

---

50. انظر : تفسير آيات الأحكام أشرف عليه الشيخ السايس جـ 1 ص 163 طبع محمد علي صبيح 1373 هـ، روائع البيان للشيخ الصابوني جـ 1 ص 394 وما بعدها.

51. انظر: روائع البيان للشيخ الصابوني جـ 1 ص 557...

52. المرجع السابق جـ 2 ص 314 - 338..

53. المرجع السابق جـ 2 ص 387 وما بعدها...